## البعد الثقافي و الاجتماعي للسلوك

**قريصات الزهرة**[1]

إن المحاولات المتكررة لفهم سلوك الأفراد و الجماعات ينطلق من خلال دراستنا لطبيعة الجماعات التي ينشا فيها الفرد من ابسطها إلي اعقدها حيث يمارس فيها الفرد ادوار مختلفة و نشاطات مرتبطة بطبيعة الجماعة و وظيفتها ، وكذا القوى النفسية المختلفة التي تؤثر في هذه الجماعات من محاولة التكيف و التوافق مع البيئة الاجتماعية، تنطلق هذه المحاولات من الأسرة ، فالشارع ، فالمدرسة بمراحلها ، فالجامعة ثم جماعة العمل ، إن هذه المحاولات المتكررة تساهم في بناء شخصية الفرد وتكسبه اتجاهات و معايير ،كما تفرض عليه سلوكيات متباينة تسمح له بالتكيف و التوافق مع معايير الجماعة التي ينتمي إليها فيؤثر و يتأثر بها ، له فيها دور يؤديه و يدخل في التفاعل مع ادوار الآخرين ملتزما بمعايير مشتركة تتحكم في سلوكياته قد تكون قوانين وضعية أو قوانين تضعها الجماعة و تلتزم بها يريدون من خلال جماعتهم الوصول إلي أهداف مشتركة و إشباع حاجاتهم .

وديناميةالجماعة يعني بها التحول و الصيرورة و مجموعة التغيرات المرتبطة فيما بينها تبعا لقوانين حتمية هذه التغيرات تصيب نظام الجماعة ككل ليصل بها إلى تحقيق التوازن، أما وارن H.C.Warren فيرى أن ( المفهوم الدينامي يستخدم في علم النفس للإشارة إلي السلوك و الحالات النفسية من علل و نتائج مع الإشارة إلى الحوافز بوجه خاص أو كمرادف لما يتضمن القوة أو القدرة أو التحريك أو التغير )[2].هذا لأن علم النفس يهدف إلي فهم وتفسير السلوك الاجتماعي بهدف صياغة أسسه و قواعده و تفسير السلوك .

- يرى د. مجدي أحمد عبد الله أن الحكم علي سيكولوجية الجماعة يستلزم المعايير الشبه التالية: [3]

1- الاشتراك الكلي و الجزئي في التجمعات من الناحية الكيفية من خلال معيار ألبرت Allport للتمييز بين الروابط التامة و الروابط الجزئية .

2- أكد كولي C.HCooley أن الفرق بين جماعة يعيش أفرادها معا يتفاعلون ويستجيب احدهم للآخر بطريقة مباشرة (جماعة أولية ) وجماعة أخرى لا يعيش أفرادها معا تعتبر جماعة ثانوية و لكن لها تأثيرها لما تتطلبه من التماثل الاجتماعي، وما تهيئه من فرض للاجتماع بالآخرين في مواقف اجتماعية مختلفة .

3- يتأثر أعضاء الجماعة بمبادئ الجماعة حتى عندما تكون الأدوار مستقلة فدرجة امتثال سلوك الجماعة لنظمها يقاس بمقياس التطابق مع النموذج المعترف به ( مثلا : الجيش : أساليب السلوك أكثر خضوعا للوائح و النظم .

---

1أستاذة محاضرة بقسم علم النفس ، بكلية الاجتماعية ، جامعة مستغانم

[2] د. مجدي أحمد عبد الله : السلوك الإجتماعي و دينامياته "محاولة تفسيرية " ، جامعة الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2003 ص 110

[3] المرجع نفسه ص 114 - 116

4- ميز ألبرت Allport بين الجماعة المتعاونة حتى تتوازي الأدوار والاستجابة للمثيرات وبين الجماعة المتفاعلة حيث تكون الاستجابة تبادلية ، و تعبر هذه عن نوع من العلاقات التكوينية داخل الجماعات.

جماعة الانتماء هو مفهوم استحدثه نيوكم و شريف T . New Comb /M.Sherif و يعني أن يتخذ الأفراد من جماعتهم إطارا دلاليا لأفكارهم و أعمالهم . يعتبر الشعور بالانتماء إلي الجماعة من دعائم التماسك فهو يشعر بالرضا و اللحمة و تسهيل و تفعيل دور الاتصال بينهم ، كما ينمي فيهم الروح المعنوية وتعني "الروح المعنوية " بأنها تقبل كل عضو للأخر و هي تتميز بالتجاذب بين أعضاء الجماعة ،و تلعب دورا هاما في الحفاظ على بناء الجماعة و استمراريتها و مقاومتها للتفكك و تأكيد وحدة السلوك.[4]

والانضباط بمعايير الأفراد بالسلوك و عدم مقاومتهم لها ، كما يبني فيهم الانضباط و التنظيم و البعد عن التفكك والاضطراب هذا الاضطراب قد يكون بسيطا و مؤقتا و الصراع فيه لا يؤدي إلي اندثار الجماعة واضمحلالها و إنما قد يكون أحيانا دافعا للتنافس وتحصيل عمل منتج .

وقد يؤدي إلى هذا الاضطراب عدم التعاون وعدم التنسيق ، وإسقاط الأخطاء على الآخرين و القيام بسلوكيات عدوانية و لكنها غير هدامة، قد تؤدي إلى العداوة بين الجماعات الصغيرة في المجموعة الكبيرة ذات الإطار المرجعي الواحد عند الحياد عن المعايير المشتركة مما يؤدي إلى تأويل أفكار و سلوكيات جماعة للأخرى فيؤثر ذلك في نوعية الاتصال ، فطاقة الشعور بالعدوان و الكراهية موجودة فطريا في الأفراد ولكن ترجمتها إلى ممارسات وسلوكيات هو متعلم مكتسب يمكن التحكم فيه بدرجات متفاوتة ومتباينة حسب شخصية الأفراد ومفاهيمهم لكيفية تصريف هذه الطاقة في علاقاتنا مع الآخرين. فالتصريف السلبي يؤدي إلى انقسام الجماعة و التشكيك في نوايا الآخرين و يعمق احتمال سوء الفهم وتناقص شعور الأفراد بالأمان.

| العوامل المؤدية إلى تقدم الفرد و ارتقائه | العوامل المعيقة لتقدم الفرد و ارتقائه |
|---|---|
| إن الشعور بالانتماء يمنح الفرد فرصة لتحقيق ذاته موضوعيا من خلال الآخرين وتقديرهم له عن طريق استغلال إمكاناته بدرجة عالية من التلقائية في معالجة المشكلات و الاستقلالية في تحقيق الذات عن طريق المحافظة على اتساق الأفعال والاتجاهات في توافق مع مطالب الجماعة .<br>إن الثقة بالذات في جو من الايجابية يولد الثقة في الآخرين والقدرة على العمل البناء معهم مما يؤدي إلى تحسين العلاقات الاجتماعية التي تعمل على بقاء و استمرارية الجماعة في ظل سمة التقبل و التقارب المتبادلين بين الأفراد . | عزل الذات والانزواء و نقص القدرة على التفاعل مع الآخرين في مشاعرهم و أفعالهم مما يؤدي إلى ( تعذر حركة الجماعة بصورة فعالة سواء كانت هذه الحركة في صورة حل مشكلة أو تعلم أو إنتاج أو تعديل الأهداف أو الاتجاهات ) .<br>إن عدم مشاركة الآخرين يؤدي إلى ظهور أفكار وسلوكات عنيفة اتجاه الفرد المنطوي لعدم تقديره فرصة التبادل العاطفي و الانفعالي . |

[4] د .مجدي أحمد عبد الله ، مرجع سابق ص 125

تتعدد وتختلف تفسيرات السلوك فهناك من يرجعها إلى العلاقة السببية (سبب – شخصية) ولكن الدراسات نتيجة أكثر إلى دراسة طبيعية السلوك في ظل الثقافة وأبعادها وكوناتها كدافع ومرشد في تفسير السلوك.

**التفسيرات السببية :**

تركز المدرسة السلوكية في تفسير السلوك على العلاقة بين المثيرات ( الأسباب المفترضة) والاستجابات السلوكية هي الملاحظة (النواتج المفترضة) ، أما المدرسة المعرفية فتفترض أن العمليات أو الميكانيزمات العقلية التي تجعل الناس يتصرفون بطريقة معينة و الافتراض الثاني لعلم النفس المعرفي هو أن العمليات و الميكانيزمات العقلية التي تسبب في السلوك تكون مستقلة عن الثقافة و متغيراتها ( Kegon1996 ) بمعنى أن العمليات الفكرية والمعرفية التي يدرسها علماء النفس المعرفي من المفترض أن تكون خصائص عامة لكل البشر .[5](Kappnis1997)

يساعد النسق الاجتماعي الأفراد في التعرف على المعايير و القواعد الثقافية و اتباعها ، و نعنى بالأنساق المعيارية الفروض العامة المتعلقة بالسلوك ، في حين تتعلق القواعد بالسلوكات الفردية الخاصة بالدور الممارس في العلاقات الخاصة، ولا تتسبب المعايير بالضرورة حدوث سلوك الأفراد بل يمكن أن يسلك الأفراد بطرق تتناقض مع معايير وقواعد ثقافة ما، وهو ما يحدث عندما تظهر مظاهر ثقافية مضادة، عندما تبرز أنماط ثقافية جديدة تؤدي إلى التغيير فتتأسس أنساق معيارية تحمل خصائص جديدة تخلق تنوعا وتمييزا في السلوكيات و في الثقافات أيضا فتظهر أيضا أنساق معيارية بديلة لتقي بحاجات الجماعات المختلفة .

**السلوك و عملية التكيف :**

التكيف هو السلوكيات التي يمارسها الفرد في محولته التغلب على الصعوبات و العوائق بهدف تحقيق التوازن مع الظروف البيئية التي يعيش فيها ( و التكيف يتضمن تغيرات في السلوك الإنساني تتسم بالمرونة في مواجهة مطالب و ظروف المجتمع المتغيرة) [6] بطريقة تخفف حدة الصراع بين الفرد و المحيط .

*– عندما نتحدث عن التوافق و التكيف نحن لا نعني بالضرورة تطابق المصطلحين ولكن تقاربهما، فالتكيف هو عملية تشمل الجانب الحسي الحركي والعضوي في الإنسان و توجد عند الإنسان والحيوان على السواء بشكل سلوكيات ، إما بهدف التغير الذي يحدثه على مستوى خبرته الشخصية، أو بما يحدثه من تغيير في عناصر البيئة المحيطة به ، أما التوافق فهو أكثر عمومية و شمولية ، يرى كولمان أن ( السلوك التوافقي هو السلوك الذي يحاول فيه الفرد أن يواجه حالات الإنعصاب التي يتعرض لها وأن يواجه حاجاته و مطالبه اجتماعية ونفسية كانت أم بيولوجية من خلال سلوك هو مجهودات يبذلها ا الإنسان لكي يحصل على علاقات منسجمة مع البيئة

---

[5] د.محمد السيد عبد علم الاجتماع النفسي ، المجتمع و الثقافة و الشخصية ، مؤسسة شباب الجامعة 2005 ص 30

[6] د. إمطانيوس ميخائيل : التوافق و الصحة النفسية أستاذ في قسم الصحة النفسي منشورات جامعة دمشق كلية التربية ج2 2005 – 2006 ص214

التي يعيش في كنفها)[7]، و بذلك فالفرد يتكيف مع البيئة بإحداث التغير و من خلال التغير يستطيع تجنب الصراع و التوافق و التوازن فيما بعد سواء مع ذاته أو في تفاعله مع الآخرين ، و يعتبر التوافق أحد معايير السواء فأن يكون الفرد قادرا على تقمص معايير جماعته و اكتساب الرصانة الانفعالية و اعتماده على الآخرين و معرفته بحاجتهم إليه و إسهامه في خدمتهم في حدود إمكاناته يبني شخصيته و يساهم في بناء جماعته .

و يرى شوبن (E.J.Shoben )أن المتوافق المتكامل يتميز بالضبط الذاتي ، و التقدير للمسؤولية ، الشخصية والاجتماعية و المثل الاجتماعية و الديمقراطية[8]

* يذكر د.عماد الدين إسماعيل أهم الخصائص السلوكية للشخصية سوية التوافق كالآتي: [9]

1- القدرة على التحكم في الذات .

2- تحمل المسؤولية و تقديرها .

3- التعاون بين الفرد و من يعيش معهم .

4- القدرة على الحب و الثقة المتبادلة .

5-التكامل مع المجتمع الإنساني .

6- اعتناق الديمقراطية.

7- وضع مستوى طموح مناسب .

إن هذه العناصر تساعد على الإحساس بالرضا وراحة البال والاطمئنان نتيجة القدرة على التكيف ، أما ما لا بد أن يظهر كمؤشر للتوافق الاجتماعي هو رضا الناس عن الفرد في علاقات بعيدة عن العدوان، والارتياب، تتسم بالتسامح والود ز احترام مشاعر الآخرين، والقدرة على تغيير السلوك للانسجام مع الجماعة ، وإتباع التقاليد والالتزامات الاجتماعية فالجماعة أيضا تحقق الإشباع للفرد.

**الثقافة والسلوك :**

يعرفها: د- عبد الحفيظ مقدم أستاذ محاضر بجامعة الجزائر، يعرفها: " الثقافة هي ذلك الأسلوب من الحياة التي تتميز به مجموعة من الأفراد و الذي يعكس كل النماذج المنمطة للسلوك، والتي انتقلت من جيل إلى جيل من خلال اللغة والمحاكاة. وهي تتضمن جوانب مادية كالفنون ن والتقنية، وجوانب معنوية كالقيم، والمعتقدات والمعايير، والعادات، والتقاليد، واللغة، والمعارف،و الأفكار. وهي تتفاوت من بيئة لأخرى وقابلة للتعديل والتحويل بمرور الزمن".

إن القيم و الاتجاهات عناصر ثقافية مهمة تسهم في إحداث التغيير و التطور عند الطالب فهي تمثل الحوافز والدوافع التي تدفع به إلى الارتقاء وتحسين مستواه المادي والمعنوي.

---

[7] المرجع نفسه ص 216

[8] د. إمطانيوس ميخائيل : مرجع سابق ص 221

[9] إسماعيل محمد عماد الدين : الشخصية و العلاج النفسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1959 ص 142-149

" يذهب ماكس فيبر 1958 في عملية التحديث التي تعيشها أوروبا ، إلا أن نشأتها ترجع إلى القيم أو الأخلاق البروتستانتية خاصة تلك المتعلقة بالعمل كالجدية و المثابرة و الحماس المتزايد " [10]

مما يؤكد أهمية العوامل النفسية و الاتجاهات السيكولوجية في إحداث التطور و إحلال القيم بدل القيم الأخرى، إن دافعية الإنجاز عند الأفراد هي دافع مكتسب و تغيير الواقع الجامعي لابد أن يرتبط بتغيير القيم الثقافية عند الطلبة فقد أثبتت التجارب التي طبقت على مديري المؤسسات المختلفة بالهند نجا عتها ، فقد خضع هؤلاء المديرين إلى برنامج تدريبي مهم في رفع دافعية الإنجاز أثر تأثيرا بالغا في رفع الإنتاج مقارنة إلى ما قبل البرنامج التدريبي .

إن القيم الثقافية تلعب دورا م مهما في ترسيخ قواعد تغيير السلوك نحو الفعالية و الإيجابية ولكننا نلحظ في المجتمع الجزائري أن هناك قيم ثقافية مضادة كثيرة تعيق ترسيخ قواعد العمل الفردي، والمثابرة والاجتهاد وفي حين تنتشر تقاليد تؤثر مباشرة على انخفاض الدوافع و ترسيخ الاتكالية، مثلا نجد في الجامعة :

" من نقل انتقل ومن اعتمد على نفسه سقط على رأسه " إن هذه الجملة البسيطة في تركيبتها العميقة، في مضمونها ترسخ قيمة الغش ، و الاتكالية ،و عدم الثقة بمفاهيم الاعتماد على الذات، والصدق في تحقيق الذات ،كذلك " أعطاني Module " و كأن الأستاذ هو من يمنح الطالب المقياس بعيدا عن كل المقاييس الموضوعية المتعلقة بموضوع الامتحان ، و سلم التنقيط ، و مستوى الطالب، وقدرته على تحصيل مقياسه، أو كقول الطلبة على زميل لهم " يطير "بمعنى الطالب المجد المثابر في المعنى الرمزي يملك قدرات خارقة أهلته ليكون ناجحا ومتفوقا كأن النجاح يتطلب جهودا غير واقعية للوصول إلى تحقيق النجاح الموضوعي. [2]

وواقع الجامعة الجزائرية عموما لا يخلوا من الكثير من التقاليد والقيم المرسخة للإتكالية والتي يجب العمل على تغييرها في ذهنيات الأفراد. هذا لا يعني غياب القيم الإيجابية ولكننا نفتقد إلى توظيف هذه القيم في حياتنا اليومية فنحن نجد في التراث العربي الإسلامي الكثير من الآيات والأحاديث، الأمثال تعطي أهمية كبيرة لأحد المقومات النجاح وهو الوقت " الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"،" الدنيا ساعة فوتها طاعة"، "لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد ".

إن الاتجاهات و القيم تفرض على الأفراد سلوكات معينة، وعندما يخالف السلوك هذه الأخيرة تحدث حالة من التوتر واللاتوازن الداخلي هناك نظريات عديدة حاولت التأكيد على العلاقة بين السلوك والقيم والاتجاهات " فقد قدم هايدر ( Heider1958 ) نظريته المعروفة بنظرية التوازن ( Balance Théory) التي توضح أننا نبحث دائما على التوازن بين ما نعتقد و بين السلوك الذي نقوم به كما قدم براون (Brown1966) بعده نظرية شبيهة تقريبا بنظرية هايدر وتدعى نظرية الاتساق ( Cousisteny Theory ) وهي تشير إلى أن الفرد لابد أن

---

[10] – د مقدم عبد الحفيظ مداخلة حول المؤثرات الثقافية على التسيير و التنمية الثقافة و التسيير جامعة الجزائر 1992 – ص 18

[2] –د .مقداد محمد : الثقافة و التسيير ،(مداخلة : أثر العوامل الثقافية في نقل التكنولوجيا ) ، مرجع سابق ص 99- 100

تكون معتقداته وسلوكاته في اتساق و إذا وجد أنهما غير متسقين يتصرف بطريقة أو بأخرى لإزالة عدم الاتساق وذلك بتعديل الاتجاه أو بتعديل السلوك أو بتعديلهما معا "1.

يتساءل علماء الأنثربولوجيا الذين اهتما بدراسة الثقافة و على رأسهم مالينوفسكي ( هل الإذعان للقواعد الثقافية مطلق كالخضوع للحاجات البيولوجية نماما ؟

إن الإنسان لم يكن محتاجا إحتياجا بيولوجيا إلى الصيد بالرماح ، و السهام ، و استخدام الأسلحة المختلفة للدفاع عن نفسه ، و لكن في اللحظة التي تبنى فيها هذه الممارسات و الأساليب ليحقق توافقا أكبر مع الطبيعة ، أصبحت هذه الممارسات ضرورية للبقاء ، و هنا يصبح الإعتماد الإنساني كالإعتماد البيولوجي ، و نصل الحاجة الثقافية إلى مرتبة الحاجة البيولوجية من حيث أهميتها للإنسان، في حين أن الفشل في التعاون الإجتماعي ، أو التوافق الرمزي يؤدي إلى دمار فوري أو تآكل على المدى البعيد بالمعنى البيولوجي الخالص.

-" إن الفشل في التوافق مع الضروريات الثقافية سواء في القبائل البدائية ، أو في الدول الأكثر تقدما ، نلاحظ أنها لا تعتمد في بقائها على ما تمنحه البيئة إياها فقط من طعام و ملبس لحماية الجسم البشري ، و إنما عليها أن تنتج كل شيئ، و أن تتبع ممارسات و طرق معينة ، و أساليب فنية ، و تقوم بتنظيم السلوك الجمعي ، و تفرض الإلتزام بتراث المعرفة ، و القانون ، و الأخلاق بواسطة نسق للأنشطة ، فالضرورات الثقافية تستلزم استجابات ثقافية تحفظ لها البقاء و الإستمرارية.

يحدث التغير الثقافي من خلال مجموعة من العناصر التالية :

1* أن العادات السائدة تكون موضع المشاركة في أي مجتمع لأنها تشكل ثقافته ، و هي تنقسم إلى :

أ- عادات السلوك ( الأعراف ) : و تمثل مجموعة السلوكات القابلة للملاحظة فعلا ، و نذكر منها آداب السلوك ، الطقوس و طرق استخدام الأشياء المادية.

ب- عادات الفكر (الأفكار الجمعية ) : و هي ما لا يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة ، و لكننا يمكننا الإستدلال عليها من خلال التعبير اللفظي ، و السلوك الفعلي و تشتمل على مايلي :

المعرفة العملية ، و المعتقدات الدينية ،و القيم الإجتماعية ، و توقعات السلوك ، و المكافآت و العقوبات المتوقع حدوثها اتجاه الإمتثالو الإنحراف.

1- ليس هناك انفصال بين عادات السلوك و عادات الفكر ، بل كل منهما يلتقي في مركب ثقافي بناء ووظيفي.

2* يكتسي السلوك الواقعي أهمية محورية في عملية التغير الثقافي ، فحينما ينحرف السلوك الإجتماعي عن العادات الثقافية السائدة فهذا يعني تعديلات في التوقعات تتبعها تعديلات في الأعراف و المعتقدات و القواعد ، مما يعني تبدل و تعديل عادات الفكر ، فتعمل الثقافة على أن تتطابق مرة أخرى مع معايير السلوك الواقعي الجديدة.

3*و بالرغم من أن السلوك الواقعي يتحدد بدرجة كبيرة عن طريق العادات إلا أنه وقت حدوثه يتأثر بالحالة الفسيولوجية ، و الإنفعالية للفرد و بعوامل أخرى خارجية تحيط بالموقف ذاته ، ووصف الثقافة لا يعني فقط رصد السلوكات الواقعية المشكلة لهذه الثقافة و تسجيلها ، و إ نما من خلال إعادة بناء العادات الفكرية التي تكمن وراءه.

-إن أي واقعة تغير الأوضاع التي يقوم عليها السلوك الجمعي تؤدي إلى تراجع السلوكات المعتادة و تشجيع ميلاد استجابات جديدة تؤدي إلى إحداث تجديدات ثقافية يبنى عليها التغير الثقافي .

**أثر الثقافة على السلوك الاجتماعي الإيجابي :**

يتعلم السلوك الإيجابي من خلال النشأة الاجتماعية و يتباين و يتنوع السلوك تباين و تنوع الثقافات لذلك فوجهة النظر الثقافية لرؤية سلوك اجتماعي تؤخذ على أنه جزء من نظام أخلاقي شامل وواسع يربط الناس في علاقات اجتماعية ، كما أن الثقافة تقدم القوانين و القواعد من خلالها يشرع الناس في استخدام السلوك الاجتماعي الإيجابي .

فالثقافة هي ذلك النسق المترابط المتكامل في الممارسات و القيم و التكامل الثقافي الذي نعني به عدم وجود صراع بين العناصر الثقافية المختلفة و خلوها من التناقضات بين معتقدات ، و تصرفات الأفراد، وسلوكاتهم وممارساتهم المختلفة ، ففهم أي نظام ثقافي لابد ألا يفهم في معزل عن الأنظمة الثقافية الأخرى .

وتمثل الثقافة ضرورة أخلاقية، وتتمثل هذه الأخلاق في تراث المجتمع من عادات، وعرف، وتقاليد، وقيم ، وهي التي تشكل معالم الحياة، ولما كانت الثقافة ضرورة أخلاقية ، فهي نوع من الضبط الاجتماعي الذي يمارس سطوته ونفوذ على الأفراد حيث لا يستطعون الخروج عن هذه القواعد.[11]

وتقوم الثقافة بمجموعة من الوظائف :

1- تساهم في الحفاظ على الوظائف البيولوجية للكائن البشري و العمل على اكتساب الفرد اللغة و القيم والأفكار ، و تطور مفهومه عن ذاته وتمدد بالعناصر الديناميكية التي تحقق له التوافق و التكييف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية .

2- الثقافة تحدد أيضا الاتجاهات و القيم و الأهداف:

يستمد الفرد مفاهيمه الأساسية من ثقافته فيتعلم كيف يفرق بين ما هو طبيعي وغير طبيعي، ومنطقي وغير منطقي، وأخلاقي وغير أخلاقي، ويتزود بالاتجاهات والقيم و الأهداف وتتساند هذه العناصر يعد أهم مقومات لتكامل الثقافي فالاتجاهات تمثل الميل للشعور والإحساس والفعل والسلوك بطرق مختلفة والقيم حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه الذي يحدد

[11] د. حسين عبد الحميد ، احمد رشوان : علم الاجتماع النفسي ، المجتمع و الثقافة و الشخصية ، مؤسسة شباب الجامعة 2005 ص 56

المرغوب فيه و المرغوب عنه من السلوك،[12] وتمثل هذه الأهداف الانجازات التي تحددها القيم على شكل رموز مشروعة.

3- الثقافة تزود الفرد و المجتمع بأنماط السلوك[13]:

يعتقد الفرد أنه يستطيع أن يتحكم في مصيره و لكن هذا الاختيار يقع دائما داخل مجتمع من الاحتمالات و الإمكانيات التي تسمح لها ثقافته و الثقافة في النهاية تشكل ضمير الفرد و شخصيته ، و الضمير ينبثق من المعايير الثقافية الجماعية التي حددت من قبل الخطأ ،و الصواب ،و الحق ، و الباطل ،و الخير ،و الشر . ليست وحدها الثقافة التي تؤثر في أنماط السلوك بل أيضا الخصائص المميزة للفرد تعتبر المحدد الرئيسي لسلوك الفرد ، ويرى جورج لندبرج أن اصطلاح الشخصية يشير إلى العادات و الاتجاهات و السمات الاجتماعية الأخرى التي تميز سلوك فرد معين[14] وهي تحدد دور الفرد من حيث تأثير الفرد على الآخرين و مدى استجابته للآخرين و هي تعكس العادات والسلوك والعواطف والدوافع والمعتقدات والاتجاهات والاستعدادات والطباع.[15]

والشخصية عند أجبرن وينمكوف هي التكامل النفسي و الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني معبر عنه على شكل عادات و شعور واتجاهات وآراء، وتشمل الشخصية كذلك كل القيم، وكل نواحي السلوك ووجهاته و يبدو الجانب الاجتماعي من حقيقة نموها في المرافق الاجتماعية وفي التصرفات والأفعال .

وعرف الأنثربولوجي " والف لنتون " "الشخصية بأنها اصطلاح يشير إلى كافة الصفات العقلية للفرد، مثل مجموعة القدرات العملية و مدركاته وأفكاره وعاداته و الاستجابات العاطفية الشرطية و ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه"[16].

**تأثير العمليات الاجتماعية و المعرفية على السلوك:**

لماذا يتصرف الناس بالشكل الذي يحدث ؟ إن فهم أثار العمليات الاجتماعية و المعرفية على الممارسات يساعدنا في حل مشاكل اجتماعية هامة و على فهم السلوكيات الاجتماعية المعقدة التي نواجهها كل يوم و تغيير المعتقدات والأفكار وتعديل المعايير يساعد على منع تكرارها مستقبلا .

تتأثر إدراكاتنا وذاكرتنا و دوافعنا و تصورنا للعالم المحيط بنا والعمليات المعرفية من خلال ما نمارسه من نشاط يعكس تأثرنا بالآخرين و بالبيئة الاجتماعية المحيطة بنا، في حين تتعلق العمليات الاجتماعية بما تفرضه

---

[12] فوزية دياب القيم و العادات الاجتماعية القاهرة 1972 ص 8

[13] د. حسين عبد الحميد ، أحمد رشوان مرجع سابق ص 59

[14] د. حسين عبد الحميد ، أحمد رشوان مرجع سابق ص 105

[15] ابراهيم بسيوني و آخرون : السلوك التنظيمي ،كلية التجارة جامعة طنطا 2002 ص 59 -

[16] .د.محمد أحمد بيومي : علم الاجتماع الثقافي ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 2002 ص 284 – 287

علينا الجماعات التي ننتمي إليها و علاقتنا الشخصية وتعاليم آبائنا وثقافتنا. فالتنشئة الأولية ( الاجتماعية ) كعملية لتطوير المهارات و الأساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق أهدافه وطموحاته في الحياة السلمية في مجتمعه، تعمل بصورة مستمرة على تثبيت النماذج السلوكية التي تعتبر أساسية للحفاظ على الحضارة والمجتمع ، فتقدم للفرد أدوار الاجتماعية التي عليه القيام بها بصورة صحيحة. [17]

" فالوجود الفيزيقي أو الجسدي للآخرين و المعرفة و الآراء التي ينقلونها إلينا و مشاعرنا في الجماعة التي ننتمي إليها تؤثر جميعها فينا من خلال العمليات الاجتماعية،[18] ويظهر التداخل جليا بين العمليات المعرفة – الفرد – والعمليات الاجتماعية أما أثرها فيظهر من خلال توظيف العمليات المعرفية في تفسير الممارسات التي تنتمي داخل العمليات الاجتماعية .

– بالمقابل يتأثر الناس بمعرفتهم عن المعتقدات والاتجاهات و السلوكيات أو الأفعال التي تناسبهم كأفراد في جماعتهم و لأنهم أعضاء جماعتنا التي أصبحنا نحن أيضا جزءا منها فإنهم يؤثرون فيها حتى عند غيابهم،[19] ومنه فإن العمليات تشكل كل صور السلوك الاجتماعية بما في ذلك السلوكيات و الممارسات التي تحظى باهتمام كبير في عالم اليوم .

**الاستدلال على مفهوم الذات من خلال السلوك:**

يتطلب تكوين الذات وقتا طويلا من عمر الفرد لتتحدد ملامح شخصيته وخصائص سلوكه في التعامل مع الآخرين :

1) الاستدلال من خلال السلوك :

– هناك فكرة إنسانية لنظرية إدراك الذات لداريل سم ( Bend,1972 ) مفادها أنه يمكننا معرفة أشياء في أنفسنا عن طريق ملاحظة سلوكنا"،[20] فيدرك الأستاذ غضبه مثلا عندما يصرخ الأستاذ في وجه طالب بسبب تأخرا ته المتكررة، هناك أيضا سلوكات متخيلة تساهم في بناءها العمليات المعرفية بحيث يتخيل الفرد مدى الاستجابة لمواقف معينة كردود أفعال معينة هذه الاستجابات " تصبح أساسا الاستدلال الذاتي الأمر المثير للدهشة أن النظر إلى الذات على أنها تتمتع بسمات مرتبطة لذلك قد لا يحسن فقط ثقتك ومثابرتك وجهودك بل إنه يحسن أيضا أداءك في المهمة (Comphel et Fairy ,1985) [21]

إن التخيل بالوصول إلى الأفكار والمشاعر المرتبطة بالأداء الناجح هو أمر يمكن أن يحسن الأداء الفعلي.

---

[17] د.فهمي الغزوي :الإدارة العامة في الأردن و دور المؤسسات و التنشئة الإجتماعية في تطويرها ، مرجع سابق ، ص 235

[18] د. السيد عبد الرحمان : علم النفس الاجتماعي المعاصر ، مدخل معرفي ، دار الفكر العربي ط 1 2004 ص 13

[19] .د.محمد السيد عبد الرحمان مرجع سابق ص 15

[20] المرجع نفسه ، ص 103.

[21] المرجع نفسه ، ص 104

2) الإدراك الذاتي للدافعية :

نحن نستدل على ذواتنا من سلوكاتنا عندما تكون الملامح الداخلية غامضة، وتثير الدافعية الداخلية للسلوكات المختارة لديه، فنحن نفعل ما نريد أن تفعله وليس ما علينا أن نفعله أما في حالة الرغبة في الحصول على هدف خارجي فنجد السلوك يصبح محتوما بالدوافع الخارجية .

3) الاستدلال من خلال الأفكار و المشاعر :

إن أهم مؤشر أو ملمح للتعرف على الذات هو ردود أفعالنا الخاصة تجاه العالم من حولنا من خلال ما تنتجه أفكارنا و مشاعرنا ، هذه الأخيرة تكون أكثر صدقا في التعرف على الذات لأن السلوك يتأثر مباشرة بالضغوط الخارجية . إن أفكارنا و أحاسيسنا تلعب دورا كبيرا في استنتاجاتنا و فهمنا لسلوكنا أكبر من الدور الذي تلعبه السلوكيات .

4) ردود أفعال الآخرين :

تساهم ردود أفعال الآخرين دورها في بناء مفهوم الذات و قد وضع عالم الاجتماع تشارلز كولي Cooley C.H عبارة الذات الناظرة من خلف الزجاج (1902) للإشارة إلى أن ردود أفعال الآخرين تجاهنا يعد مصدرا هاما من مصادر معرفة الذات و تعد تلك الردود بمثابة مرآة تعكس صورتنا فنتمكن أيضا من رؤيتها ( Felson-1989 )، كما أدرك مفكرون آخرون مثل فرويد Freud و جورج ميد G.Mead و جان بياجيه J.Piaget و إنهلدر Inhalder و فيجوتسكي Vygotsky نفسي الأمر رغم اختلاف أساليبهم في التعرف على الأصول الاجتماعية للوعي بالذات. [22]

ان الإحساس بالذات لا ينشأ من فراغ و لكنه ينشا من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين و يتضح من هذا التحليل أن الإحساس بالذات و مفهوم الذات ناتج اجتماعي و ليس ناتجا شخصيا فقط .

5) المقارنة الاجتماعية :

تعطي المقارنة الاجتماعية فرصة لبناء مفهوم عن الفرد من خلال الكشف عن الانعزالية أو الاجتماعية التي تميزنا عن الآخرين المشابهين أو المتخلفين عنا و تصبح السمات التي تميزنا في معظم الأشخاص الآخرين من مظاهر معرفة الذات و القدرة على تميزها و تفردها[23].

* إدراك الذات :

دور الذات في توجيه السلوك :

---

[22] د . السيد عبد الرحمات ص 106- 108

[23] د. محمد السيد عبد الرحمان مرجع سابق ص 106 - 108

إن السلوك الذي يمارسه الفرد يحدد مدى إدراك الفرد لذاته فهو قد يعبر أحيانا عن الذات و قد يكون جديدا و يكون أحيانا حسب الموقف .

أ – التعبير عن الذات :

– إن التعبير عن الذات هو نقل مفهومها إلى الآخرين من خلال الأفعال و الممارسات ، فالأفراد يميلون أكثر للمواءمة ما بين سلوكاتهم و مفهومهم لذواتهم ، و قد تكون الحاجة للتعبير عن الذات قوية فيفضل الأفراد أن يعرف الناس نقائصهم و نقاط ضعفهم أيضا على أن يروهم فقط بصورة إيجابية مما يساعدهم على تعزيز أفكارهم القائمة فعلا على ذواتهم .

ب– تجريب الذات :

يقول بوفمان " تخير الطريقة المناسبة لتقديم ذاتك بعناية فالقناع الذي تبرأ به قد يصبح وجهك الحقيقي للأبد" لذلك علينا بتجريب ذواتنا في القدرة على رؤية الأشياء و تحملها و يمكن لتلك التجارب أن تؤثر تأثيرا دائما في الأفراد سواء بالإيجاب أو بالسلب . ".

فمثلا تكون لدى الطالب فكرة على أنه غير قادر على تحقيق نتائج في شعبه عملية ما ، و يعيش بفكرة الفشل فتلزمه فلا يصل إلى النجاح أبدا و قد يرقى إلى فكرة التجريب بهدف النجاح فيحقق ذلك النجاح و يعيش به فيصبح قادرا على التجريب و النجاح في معظم الحالات .

و هكذا تتطور الفكرة من الذات عبر التجريب لتصل إلى ممارسة النجاح .

جـ – ضبط الذات :

يلعب الضبط الذاتي دورا هاما في تشكيل السلوك و يعتبر الأفراد الذين يتمتعون بالضبط الذاتي أنهم يتصرفون بشكل يغلب عليه الكبح حيث ينخرط الفرد في سلوك بديل يتضمن قدرة بالذات على التصرف في ظل الغياب النسبي للمدعمات الخارجية ، فيتم تنفيذ السلوك بتأني و ترو ، بحيث يتم تأجيل الإشباع للتعزيزات الصغيرة العاجلة في سبيل تعزيزات أخرى أكبر .

مثل كأن يتحمل الطالب الظروف الاقتصادية و الاجتماعية القاهرة أحيانا في سبيل إنهاء دراسته و الحصول على عمل مستقبلا .

و للضبط الذاتي 03 عناصر أساسية هي :

– بملاحظة الذاتية و هي تميع منطقي للمعلومات في العوامل التي تؤثر في تصرف الفرد و سلوكه

– التخطيط البيئي و فيه يتجنب المثير المولد للسلوك أو تغيير البيئة أو كليهما .

– برمجة السلوك : و فيه يتم التغيير المنظم لنتائج السلوك بدلا من تغير مبيناته أو مثيراته .

**التغييرات المعيارية :**

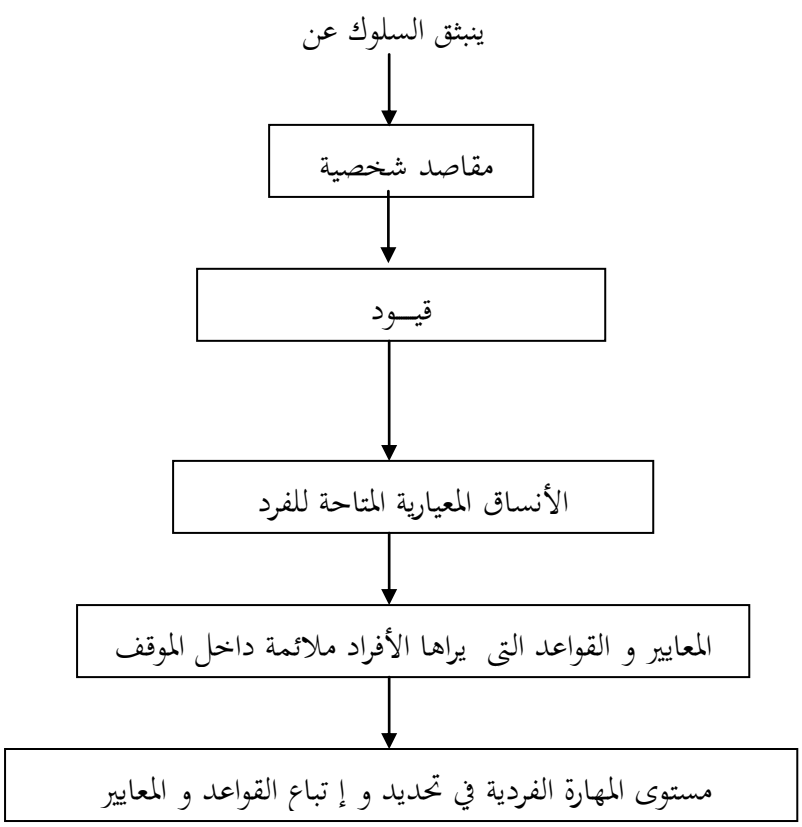


**شكل 1 : عرض تخطيطي للتفسيرات المعيارية للسلوك الاجتماعي**[24]

تساعد الأنساق الاجتماعية الأفراد على التعرف على المعايير و القواعد الثقافية و أتباعها و تعنى بالإنسان المعيارية الفروض العامة المتعلقة بالسلوك في حين تتعلق القواعد بالسلوكات الفردية الخاصة بالدور الممارس في العلاقات الخاصة و لا تسبب المعايير و الوقاد حدوث سلوك الأفراد بل يمكن أن يسلك الأفراد بطرق تتناقض مع معايير و قواعد ثقافة ما وهو متا يحدث عندما تظهر مظاهر ثقافية مضادة، عندما تبرز أنماط ثقافية جديدة تؤدي إلى التغيير فتتأسس أنساق معيارية تحمل خصائص جديدة تخلق تنوعا و تمييزا على السلوكيات و على الثقافات أيضا فتظهر أيضا أنساق معيارية بديلة لتقي بحاجات الجماعات المختلفة .

**المعايير الاجتماعية و الأخلاقية :**

[24] د.محمد السيد عبد الرحمان مرجع سابق ص 31

تتأثر كل أشكال السلوك الاجتماعية بالمعايير السلوكية الاجتماعية و الأخلاقية و التي تكون مفروضة، فمعظم الأفراد يقبلون بهذه المعايير باعتبارها التزاما أخلاقيا .

- تفعيل المعايير الاجتماعية :

لابد أن تكون القواعد و المعايير الاجتماعية ممكنة التنفيذ و يكون لنا أسلوبنا في إتباعها حتى يكون لها سلطان على سلوكنا، وهذا الأسلوب لا بد له من وسائل هي كالآتي:

كثيرا ما يتوجه الأستاذ إلى الطالب : " عليك بالاهتمام بسلوك أكثر و الانضباط حسب المواقيت و هذا سيساعدك في تدارك ما فاتك و يصل بك إلى النجاح مستقبلا ، أو" غياباتك المتكررة سيصل بك إلى الإقصاء من المقاييس. هذا الأسلوب الصريح في التذكير أو التنبيه سيساعد الطالب في إعادة النظر و إدراك الوضعية المحيطة به و هذا ما يسمى بالتذكير أو التنبيه الصريح تختلف الاستجابات عند الأفراد حسب مرجعياتهم الاجتماعية و الثقافية و الأخلاقية لكن هذا لا ينفى دور التذكير و التنبيه الصريح في تفعيل المعايير الاجتماعية والأخلاقية . وهذا ما تعتمد عليه المنظمات الخيرية و غيرها والخطابات المختلفة في التأثير على ردود أفعال الأفراد.

أحيانا يفقد التذكير أو التنبيه الصريح دوره في تفعيل المعايير الاجتماعية و الأخلاقية فيلجأ الأفراد إلى حل بديل و هو استخدام النماذج فالتعلم مرتبط بالنموذج ، فالأفراد بطبيعتهم يميلون إلى ملاحظة سلوك الآخرين وتقليدهم والتقمص عملية عقلية واردة في مراحل النمو فالنموذج يمثل القدوة أو الصورة المضمنة لمعايير اجتماعية وأخلاقية معينة .فمثلا الطالب الجامعي وفي كل مراحله الدراسية يمكنه أن يتذكر بوضوح كل هؤلاء الذين تأثر بهم في المراحل المختلفة و من هؤلاء الذين بصموا في نفسه معايير ساعدته في الاستمرار و حتى في هذه المراحل المتقدمة من الدراسة يؤثر الأساتذة في طلبهم من خلال تقديم نماذج يحتذى بها وكثيرا ما تتردد بين الطلبة " أستاذ ماشي نابوغتكوا Pas n'importe quoi " " أو ماهوش أستاذ قاع"كل من هذين النوعين يمثل نموذجا لمعايير اجتماعية و أخلاقية وسلوكية مختلفة .

فالمعايير التي ترتبط بالمثال الأول تتعلق بالانضباط في التدريس و المواقيت و معاملة الطلبة في حين يفتقدها النموذج الثاني.،أيضا يظهر الوعي الذاتي كلا من المعايير الشخصية للفرد و معايير الجماعة على السطح و يؤدي إلى زيادة تأثيرهما على سلوكنا فحينها نفكر في أي الأنماط التي تنتهي إليها كفرد سيزيد ذلك من وعيه الذاتي، فإذا تكون لدى الطالب وعي بذاته وإدراك أنه موجود بالجامعة بهدف تحقيق النجاح الدراسي و المهني تصبح شخصيته أكثر نضجا و تتجه سلوكاته في تحقيق هذه الأهداف في إطار التوجيهات التي تنبع من وعينا بذاتنا .

**تعطيل المعايير الاجتماعية :**

كما هناك عوامل تساعد على تفعيل دور المعايير الاجتماعية و الأخلاقية على توجيه سلوكات الأفراد ، هناك عوامل بالمقابل تؤدي إلى تعطيل دور هذه العوامل و كفها عن القيام بدورها و أهمها عاملي التجاهل الاجتماعي و تشتت المسؤولية .

هناك العديد من المواقف الطارئة التي تشمل مواقف غير معتادة أو غير متوقعة و بعض السلوكات التي فيها دراما نمارسها بصورة فعلية في حياتنا الخاصة كأن نجد أحد الأفراد يريد الاعتداء على فتاة جامعية أمام الحي الجامعي هل سيقدم أحد الطلبة لنجدتها ؟ هل سيتصل أحدهم بالشرطة ؟

يرى د. محمد السيد عبد الرحمن أننا نراقب سلوكيات الآخرين حيال هذا الموقف و أننا نستخدم تلك السلوكيات التي يقومون بها مرشدة و هادية لنا بالمقابل هم أيضا سيراقبون تصرفاتنا و يشكل موقف غامض لتأثير دور المشاهد و المتفرج فوجود الآخرين يقلل بالفعل من احتمالية اتخاذ البعض تصرفا أو سلوكا حاسما لأن كل الفرد يتطلع إلى سلوكيات الآخرين على هذه المواقف بهدف الاهتداء و الاسترشاد بها و هذا ما يسمى بالتجاهل الاجتماعي .

أما فيما يخص تشتت المسؤولية : خلص كل من دارلي و لايتنيه عندما درسا قضية كيتي جينوفيز أن كل من شاهدوها كانوا يعلمون أن ثمة شيء يحدث غير عادي فقد سمعوا الصراخ و أضاءوا مصابيح الشرفات و اعتقد بعضهم أن الأمر مجرد نزاع بين رجل و امرأته ولكن كيتي صرخت " لقد طعنني أرجوكم ساعدوني أنا أحتضر" ورغم أن الصحف أرجعت هذا الموقف إلى اللامبالاة إلا إن دارلي و لايتنيه أوزع سلبية الجيران نتيجة بوجود آخرين شهدوا الحادثة مما أثر على قرارهم بتحمل مسؤولية تقديم العون أم لا [1].

" و منه خلص إلى أن الفرد يشعر بأنه أقل تحملا للمسؤولية مقارنة بما سيكون عليهم بمفرده مع الضحية وقد أيد تفسير تشتت المسؤولية عدد من الدراسات التي أظهرت أنه حينما يكون كل واحد منا بمفرده في حادث طارئ سوف يشعر بمسؤوليته الشخصية إلا أن القليل يقدم على تقديم المساعدة مع وجود العديد من الأشخاص"، في كثير من الأحيان وجود الجماعة يمكنه أن يطغى على كل الاعتبارات الأخرى ففي حالة تجريد الفرد من ذاتيته يصبح الناس أعضاء في الجماعة لا ملامح لهم و لا يستجيبون إلا للقواعد السلوكية لتلك الجماعة.

**المراجع :**

[1] د. مجدي أحمد عبد الله : السلوك الإجتماعي و ديناميات "محاولة تفسيرية " ، جامعة الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2003

[1] .د. محمد السيد عبد الرحمان ، مرجع سابق ص 315 -318

[2]د. إمطانيوس ميخائيل : التوافق و الصحة النفسية أستاذ في قسم الصحة النفسي منشورات جامعة دمشق كلية التربية ج2 2005 - 2006

[3] إسماعيل محمد عماد الدين : الشخصية و العلاج النفسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1959

[4]– د مقدم عبد الحفيظ مداخلة حول المؤثرات الثقافية على التسيير و التنمية الثقافة و التسيير جامعة الجزائر 1992

[5] د. حسين عبد الحميد ، احمد رشوان : علم الاجتماع النفسي ، المجتمع و الثقافة و الشخصية ، مؤسسة شباب الجامعة 2005

[6] فوزية دياب القيم و العادات الاجتماعية القاهرة 1972 ص 8

[7] د. حسين عبد الحميد ، أحمد رشوان مرجع سابق ص 59

[8] ا د. حسين عبد الحميد ، أحمد رشوان مرجع سابق ص 105

[9] ابراهيم بسيوني و آخرون : السلوك التنظيمي ،كلية التجارة جامعة طنطا 2002 ص 59 - 60

[10] .د.محمد أحمد بيومي : علم الاجتماع الثقافي ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 2002

[11] د.فهمي الغزوي :الإدارة العامة في الأردن و دور المؤسسات و التنشئة الإجتماعية في تطويرها ، مرجع سابق، ص 235

[12].د. السيد عبد الرحمان : علم النفس الاجتماعي المعاصر ، مدخل معرفي ، دار الفكر العربي ط 1 2004 ص 13